الأهرام

المصدر : الرابطة

التاريخ :

الإسلام فى بلاد المجر (الحلقة الأولى)

بقلم الدكتور الحاج
عبد الكريم جرمانوس

لقد حدث تحول اجتماعى مبارك وعميق الغور فى تاريخ البشرية نتيجة لايحاءات النبى الكريم محمد وقدرته الخلاقة ·

فبعد ان كانت قبائل شبه الجزيرة العربية وعبر قرون عديدة من الزمن تهدر طاقاتها سدى فى مواجهة الطبيعة القاسية المجدبة من جهة وفى الحروب القبلية المريقة لدماء الاشقاء من جهة اخرى ، فانها غب نشر النبى الكريم لرسالته ، قد توحدت فى امة عزيزة ، واصبحت بعد ان غدت ممتلكة للقوة المعنوية الضاربة الجذور فى الدين الحنيف ليست قادرة على التعايش فيما بينها وحسب ، بل قادرة كذلك على كسر شوكة جيوش امبراطورية فارس الساسانية ، وامبراطورية بيزنطة الشرقية المجاورتين رغم تفوقهما فى العدد والعدة وقادرة ايضا على اقامة دولة قوية فى الاراضى المفتوحة · ولقد دللت الدولة العربية الجديدة فى ظل الخلافة الاموية عن قدرتها الاقتصادية وحولت القبائل العربية وشعوب البلدان المفتوحة الى مجتمع جديد مرتكز على التعاليم الخلقية للقرآن الكريم · وعقب سقوط الدولة الاموية فان العباسيين قد استطاعوا بالارتكاز الى تعاليم القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وباستغلال المعطيات والقدرات الفكرية للشعوب الاخرى التى انضوت تحت لواء الحضارة الاسلامية ان ينشئوا امبراطورية واسعة الامتداد اسبغت على الحضارة القديمة ثوبا من التعاليم الخلقية الدينية لم ينقذ التراث القديم وحسب بل قدم الدليل والمثل القمين بالاحتذاء لشعوب اوروبا الغربية التى كانت تعيش تحت حكم الكنيسة المسيحية · كما ان الشعوب الاسيوية التى كانت تعيش فى بربرية متخلفة مثل : الاتراك والمغول قد تحولت الى الاسلام منشئة نتيجة لذلك حياتها كدول وكمجتمعات ، تسود فيها احكام الشريعة التى هى النظام التشريعى المرتكز على التعاليم الخلقية للقرآن الكريم · اما الشعوب الاوروبية فلم تكن تعرف انذاك الا النظام الكنسى القائم على اصدار الاوامر التى لا يقبل النقاش فيها والمرتكز على الطاعة العمياء وحسب · بينما كان الاسلام على نقيض من ذلك يتمتع بتعاليم متسلحة بالفلسفات القديمة وكان يضع التفكير وتحكيم العقل فى موضع الصدارة ·

حيث ان الاسلام لم يعترف بنظام كالنظام الكنسى بما يستتبعه ذلك من اوامر وتوجيهات بل حدد هدف الحياة بالايمان وبالتفكير الممنوح للانسان ، وبتحكيم الفكر وبتنفيذ حقوق وواجبات الانسان تجاه ربه خالق الكون ، وتجاه اخوته من بنى الانسان · وبذلك فقد سما الاسلام على كافة ماسبقه من نظم دينية ، لانه يمنح البشرية المعرفة والمحبة دونما تمييز بسبب اللغة او العرق كما يمنحها السلوى عبر الايمان الالهى ·

ظهر المجريون بين جبال اورال قوما باسلين يعتمدون فى معيشتهم على صيد الحيوان والسمك ويتكلمون بلغة هى مزيج من الفنلندية والاستونية وقد هجروا وطنهم الاصلى منذ الفى عام تقريبا مولين وجوههم شطر الجنوب الشرقى وبعد ان اجتازوا قلب اسيا الغربية امتزجوا بالاتراك الجواشن والباشقير بالقرب من جنوب نهر الفولغا وضفاف بحر قزوين امتزاجا دام خمسمائة عام واخذ المجريون عنهم فنى الزراعة والحرب وعلق باللغة المجرية الكثير من

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الالفاظ التركية القديمة خصوصا فيما يتعلق بالزراعة وقامت بين الشعبين صلات رحم وقربى فتحول الشعب المجرى من صيادى اسماك الى رجال عسكريين يماكون الاتراك فى الكثير من مظاهرهم ·

ولقد عاش المجريون قبائل راحلة كالبدو وكان لكل قبيلة منهم زعيم تأتمر بامره وكانت هذه القبائل تتحد وتتألب عند نشوب الحروب ، لترد الاعداء عن البلاد ثم تعود الى سابق عهدها وعيشها ، ومن الغريب انه كثيرا ماانضمت قبائل اجنبية تركية وخزرية وقبرية الى المجريين الاصليين وكذلك قوم من البلغار ايضا ·

ولقد تطورت القبائل المجرية ونمت حسب مؤثرات البيئة التى عاشت فيها · فبعضها آمن بالشامانية وبمعنى اوضح كانوا يعبدون وفقا لتعاليم الشامان الاكبر (·الكاهن الاكبر) الالهة الموهومة التى اعتقدوا انها توزع الخير والشر على البشر وفى فترة لاحقة وبعد ان استقر المجريون عبر ثلاثة قرون فى اراضى دولة الخزر فقد اعتنق الكثيرون منهم الديانة اليهودية · ولقد اثارت حياة القبائل المجرية اهتمام الكتاب العرب ايضا ومثال ذلك ان احمد ابن يحى البلاذرى الفارسى الاصل (والمتوفى عام ٢٧٩ للهجرة) قد تحدث عن اولئك المجريين من قبيلة سوارد ، والذين انقطعوا عن بقية القبائل الاخرى زمن الهجوم الذى شنه ال بشينيو (البشناك) عام ٢٧٦ للهجرة ، والذين كروا راجعين الى موطنهم القديم فيما وراء القفقاس · اما ابو اسحق الفارسى والذى سمى بالاصطخرى نسبة الى اسم اصطخر العربى لبرسابوليس الفارسية ، وكذلك ابن حوقل فانهما يتطرقان فى اعمالهما الادبية الى الحديث عن المجريين وذلك حوالى العام ٣٨١ للهجرة معتبرين اياهم شعبا مماثلا للبشكيريين · اما الكاتب العربى الفارسى الاصل محمد ابن رسته فانه فى كتابه المسمى « كتاب الاعلاق النفيسة » يتحدث عن المجريين زاعما بان : « المجريين هم عبدة نيران » الا انه من المؤكد ان قسما من المجريين قد وقع تحت تأثير الامبراطورية الفارسية واعتنق مذهب زاردشت كذلك · ودليل ذلك وجود العديد من الكلمات الفارسية فى اللغة المجرية ·

وكانت نتيجة هذا الامتزاج بين المجريين والاجانب ان تولد جيل جديد وشعب جديد تأثر الى حد بعيد بالثقافة الفارسية وهناك الكثير من الالفاظ الفارسية المتعلقة بالصناعة او بالافكار الدينية مبثوثة فى متن اللغة المجرية ·

ولقد كانت تلك الالفاظ نتيجة تبادل تجارى بيننا وبين بلاد العجم وهذا التبادل كان منحصرا فى الاسلحة والاقمشة والحلى حتى انه من المشاهد فى ايامنا هذه ان الزينة والنقش وتطريز الملابس فى القرى المجرية هى فارسية الاصول ·

وفى نهاية القرن الثامن للميلاد شدت هذه القبائل المجرية المعتزجة رحالها واتجهت شطر الغرب حيث اقامت هناك زهاء القرن من الزمن وذلك فى جنوب روسيا المعروف اليوم باسم اوكرانيا وفى هذه المنطقة هاجمتهم قبائل البجناق وهزمتهم فانشطروا الى نصفين :

احدهما وهو الاكبر اتجه صوب الغرب فاستقر فى جبال الكربات اما الشطر الآخر وهو الأصغر فعاد الى الشرق وقد اقتفت اثره بعض البعثات فى خلال اجيال عدة بقصد الوقوف على اثاره ولكن هذه البعثات لم تعثر حتى اليوم على شىء ·

اما الشعب المجرى فقد وصل عام ٢٨٣ هـ (٨٩٦م) من جبال الكربات الى بانونيا وهى المعروفة اليوم ببلاد المجر ، وهذا الشعب هو فى الواقع نتيجة تمازج بين المجريين الاصليين والسلافيين والشعب المجرى القديم او بالاحرى القبائل المجرية انذاك بدأ بشن غارات على البلدان المجاورة له بقصد نهبها والاستيلاء عليها حتى لقد بلغ فى غاراته تلك المانيا وايطاليا والاندلس ولكى تدرأ المانيا غارات المجريين عن بلادها ، شرعت تمهد السبيل للدخول فى النصرانية وتحت تأثير القائد المجرى اشتفان المقدس الذى نصب نفسه ملكا على البلاد وفيما بعد ذلك بدأ المجريون ايضا يدخلون فى النصرانية افواجا وكان بين هذه القبائل المجرية التى نزحت من موطنها الاصلى واقامت على ضفاف الدانوب الوف من المسلمين ، وهم خليط شعوب متباينة

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كتجار ومزارعين اعجام وبلغار وقد ظلوا محافظين على شعائرهم الدينية واستوطنوا مناطق بالقرب من العاصمة بشت وانتشروا فى السهول الزراعية واظهروا براعة فى الشئون التجارية والصناعية كما انهم قد اكتسبوا نتيجة لاتصالهم بالشرق الاسلامى وخلال امد وجيز نسبيا ، مميزات اجتماعية واقتصادية ومكانة فى الدوائر الحكومية كذلك ·

وماكانت اوروبا انذاك لتسمح باقامة الشعائر الدينية الاسلامية فى ممالكها ولذا حاولت حمل اولئك المسلمين على الارتداد عن دينهم وعلى اعتناق النصرانية وقد سنت القوانين الصارمة فى اضطهادهم مثال ذلك : اذا عاد التجار المدعوون بالاسماعيلية الى دينهم الاصلى ثانية بعد تعميدهم واقدموا على ختان اولادهم فانه يجب ابعادهم عن مقر سكنهم ونفيهم الى قرى اخرى ·

اما اولئك الذين يتوبون فانه يمكنهم البقاء فى امكنتهم · وبعد عشر سنوات اصدر الملك المجرى كالمان كذلك قوانين صارمة فى حق المسلمين المجريين ونقتطف منها النصوص التالية :

اذا لاحظ شخص ما ان اسماعيليا يصوم طبقا لدينه ويأكل مثل معظمهم ويمتنع عن اكل الخنزير ويغتسل حسب طقوسهم او يقوم بأى شىء ما طبقا لعاداتهم فانه يجب على ذلك الشخص ان يغدو مقبوضا عليه وتجرى مصادرة نصيب من ثروته · ويقول قانون آخر انه غير مسموح للاسماعيليين ان يزوجوا بناتهم من اسماعيليين وانهم مجبرون على تزويجهم من نصارى ولم يقتصر الامر على ذلك فقط ، فان القانون كان ينص على انه فى حالة ما اذا دعا نصرانى اسماعيليا للطعام فان عليه ان يقدم له لحم الخنزير لكى يجبروه على كسر الواجبات الدينية وهذا القانون يبين لنا ان النصرانى كان له اصدقاء اسماعيلية يدعوهم لتناول الطعام وان الاسماعيلية كانوا يزوجون بناتهم من ابناء دينهم غير ان هذه القوانين التى اصدرها الملوك المجريون لم يجر تطبيقها فى اطار الحياة العملية ·

واسم الاسماعيلية اطلق عادة على المسلمين فى المجر وقد جاء هذا الاسم من اسماعيل ابن هاجر الذى نزح الى جزيرة العرب · ولا يفهم من هذا انهم من الشيعة الاسماعيلية ، كما يعتقد فريق من الباحثة المجريين ، فهم من اهل السنة على مذهب ابى حنيفة · وجدير بالذكر ان الرحالة العربى الكبير ياقوت الحموى قد اورد ان فى حلب قد كان عدد كبير من المسلمين المجريين وهم اعضاء بعثة رسمية مكونة من اربعين مجريا مسلمين أوفدوا لدراسة الفقه الحنفى تمهيدا لتعيين قضاة وائمة منهم فى بلاد المجر · وهذا الخبر المهم يدل على اهمية المسلمين فى بلادنا كما ذكر ياقوت ايضا ان مواطنهم فى المجر تزيد على ثلاثين منطقة ، وتوضح اسماء الكثير من هذه المستقرات ان اصل سكانها من المسلمين · ففى المجرية نجد ان كلمة بورسورمينى هى تحريف لكلمة موسولمان ·

وحينما عجزت موارد الدولة واصبحت فى حالة يرثى لها واضطرت الحكومة لان تضمن الضرائب فريقا من الناس فى مقابل ان يجبوها بانفسهم من المزارعين ، وكانت الناقلة الاسلامية هى الملتزمة بتحصيل الضرائب للحكومة بل انها اقرضت الحكومة مبالغ عديدة مقابل ان تحتكر هى سك النقود وبذا استطاع المسلمون تأسيس عدة دور لضرب المسكوكات · وقد ظلت هذه النقود قيد التداول بعد قرن من ضربها ويوجد منها عدد كبير فى المتحف الوطنى فى بودابست ·

وكان هؤلاء المسلمون ذوى ثقافة عالية الى جانب انهم حملوا السلاح واعتدوا انفسهم من المحاربين الاشاوس · وفى عام ٥٥٧ هـ ارسل الملك المجرى جيزا الثانى خمسمائة سراسينى (يعنى شرقيين) وهم المسلمون لمساعدة الامبراطور فريدريك فى حروبه ·

اما فى سنة ٦٤٠ للهجرة فقد قاسى المسلمون المجريون شدائد ومصائب من طوفان التتار الذى غمر المجر وقد اختفوا من على مسرح الاحداث كمجتمع غير ان ذكراهم ظهرت فى اسم اسرة اسماعيلية من اصل اسلامى تدعى سراسينى ازدهرت خلال القرن الثامن للهجرة وكلمة سراسينى هى اشتقاق من سراسين بمعنى الشرقى وقد ظهرت على الكثير من شعارات الاسلحة على شكل رأس زنجى اما فى العصور الوسطى فقد كانت كلمة سراسين تعنى عامة مسلمى اسبانيا ·

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية